

وهكذا منذ أواخر خلافة عبد المؤمن بدأ العرب يدخلون الجيش الموحيدي، فقد اشترك في غزوة شنترين (1184/579) أربعون ألفاً من فرسان العرب⁽¹⁾، وفي أيام المراكشي كان بالأندلس خمسة آلاف فارس سوى الرجال⁽²⁾، وفي خلافة الرشيد كان عرب الخلط وحدهم في اثني عشر ألفاً سوى الرجال⁽³⁾، وفي الحشود⁽⁴⁾. وكان العرب يكونون قسماً هاماً في الجيش الموحيدي، فإلى جانب وجودهم في جيوش بجاية وإفريقية⁽⁵⁾ كانوا يمثلون الجناح الهام في جيوش الحضرة في غزوات الخلفاء في الأندلس⁽⁶⁾ أو في إمداد الحضرة إلى الولايات⁽⁷⁾.

الأغزاز:

ليس هناك ما يشير إلى أن المغرب عرف الأغزاز قبل الموحيدين إلا إشارة واحدة وردت عند صاحب روض القرطاس تبين أن الأغزاز كانوا قسماً في جيش المرابطين. وليس هنالك ما يؤكد مثل هذا القول في المصادر المعاصرة للفترة المرابطية، هذا فضلاً عن خلط صاحب روض القرطاس بين الأغزاز والغزات⁽⁸⁾. وإن لم يعرف المغرب الأغزاز فقد عرف الأكراد. وقد استخدم

(1) الروض المعطار ص 114.

(2) المعجب ص 226.

(3) العبر ج 6 ص 533 - 534.

(4) المعجب ص 270، الكامل ج 11 ص 507، البيان المغرب ج 3 ص 147، نهاية الأرب ص 222.

(5) رسائل موحدية ص 221، المن بالإمامة ص 215، 411-418، 491، البيان المغرب ج 3 ص 88-89، 131، 132، روض القرطاس ص 132، 140، 146، نهاية الأرب ص 219.

(6) رسائل موحدية ص 253-254، 256، روض القرطاس ص 129، غير أن المنصور وضع بعض القيود على اشتراك العرب في غزواته في إفريقية (راجع البيان المغرب ج 3 ص 158).

(7) المن بالإمامة ص 193، 197، 269، 270، 400، 405، البيان المغرب ج 3 ص 63، 104.

(8) روض القرطاس ص 87، استقصا ج 2 ص 27 وعن خلط صاحب روض القرطاس بين =

الأكراد كل من صنهاجي⁽¹⁾ تونس وبني غانية في ميورقة⁽²⁾. ولا يعلم أن الموحيدين استخدموا الأكراد في جيشهم.

وأما الأغزاز فقد دخلوا منطقة طرابلس سنة 1173/569 مع قراقوش مملوك تقي الدين أخي صلاح الدين الأيوبي⁽³⁾. وعلى الرغم من أن يوسف قضى على حركة التمرد والانفصال في قفصة سنة 1180/576 لم يرد ذكر للأغزاز في أخبار حملته هذه. وقد بدأ الأغزاز المصريون يقومون بدور خطير ابتداء من عام 1183/579⁽⁴⁾، وبلغوا أوج خطورتهم على كيان الدولة لما تعاونوا مع الميورقيين والعرب في الفتن التي اجتاحت إفريقية وقتئذ⁽⁵⁾، مما أغرى أغزازاً مصريين آخر بدخول المغرب بقيادة يوزبا⁽⁶⁾. فأضطر المنصور إلى الخروج إلى إفريقية بنفسه ففضى على الفتن فيها في أواخر 1187/583 واسترق من وجد من الأغزاز⁽⁷⁾. وفي رجوعه إلى المغرب كون كتيبة من هؤلاء الأغزاز⁽⁸⁾.

ويتحدث المراكشي عن دخول الأغزاز المغرب في موضعين فيقول: «وفي أيام أبي يعقوب ورد علينا المغرب أول من وردها من الغز وذلك في آخر

= الأغزاز والغزات راجع ص 129، 140 حيث يجعل الأغزاز في الجيش الموحيدي في خلافتي عبد المؤمن ويوسف الأمر الذي تنفيه المصادر الأخرى. وعن رأي مشابه للذي وصلنا إليه عن الأغزاز في الجيش المرابطي راجع Hopkins; p. 79 وعن رأي مخالف راجع النظام السياسي ص 157-158.

(1) رسائل موحدية ص 101.

(2) المعجب ص 315.

(3) المصادر عن بداية حركة قراقوش وتحركاته مضطربة ومتناقضة وليس هنا مجال تفصيلها، مثلاً راجع الروضتين ج 1 ص 259، مفرج الكروب ج 1 ص 235، رحلة ص 111، 243.

(4) راجع رحلة ص 112-113، العبر ج 6 ص 394-395، استقصا ج 2 ص 160.

(5) المعجب ص 272، رحلة ص 136، العبر ج 6 ص 395-396، 398.

(6) الروضتين ج 2 ص 70، مفرج الكروب ج 2 ص 182.

(7) رسائل موحدية ص 189-208.

(8) المصدر ذاته ص 214، البيان المغرب ج 3 ص 164.

سنة 74، وما زالوا يكثررون عندنا إلى آخر أيام أبي يوسف»⁽¹⁾ وفي موضع آخر يشير إلى خلافة المنصور قائلاً: «وفي أول ولايته - أما سنة 83 أو 82 [5] - ورد علينا البلاد الغز من مصر، وكان فيمن ورد علينا مملوك يسمى قراقش»⁽²⁾. والإشارتان مضطربتان فالمرآشي كعادته لا يدقق في تواريخه فبدية دخول الأغزاز أرض المغرب كان قبل التاريخ الذي يذكره حسب ما ذكرناه استناداً على ما ورد في الرسائل الرسمية، كما أن وصولهم إلى المغرب الأقصى في خلافة المنصور كان في عام 1188/584 تاريخ دخول المنصور حضرته والأغزاز بمعيتة. وأما قراقش فيحدد مصدر معاصر وصوله إلى مراكش بسنة 1190/586⁽³⁾.

وعلى هذا نستطيع القول بأن الأغزاز وإن دخلوا المغرب في خلافة يوسف ابن عبد المؤمن لم يدخلوا الجيش إلا في خلافة المنصور. وتحول المنصور من استرقاقهم إلى تجنيدهم يدل على ما تمتع به هؤلاء الأغزاز من مزايا عسكرية أغرت المنصور بالاستفادة منهم في الجيش النظامي ولهذا لا يستغرب أن يغدق عليهم المنصور الأموال، ويعطيهم جامكية كل شهر بينما كانت جامكية الموحدين ثلاث مرات في العام، ويقطع كبارهم الأراضي تالفاً حتى كان إقطاع بعضهم كإقطاع الموحدين أو أوسع⁽⁴⁾. وغدا الأغزاز من أعمدة الجيش الموحي في المغرب⁽⁵⁾ والأندلس⁽⁶⁾ وإفريقية⁽⁷⁾.

الروم⁽⁸⁾:

كان المسلمون في الأندلس يستخدمون الروم في جيوشهم منذ خلافة بني

أمية في قرطبة. ولقد هم خلفاؤهم من ملوك الطوائف لا سيما بني هود⁽¹⁾، وظل بنو مردنيش يستخدمون أولئك النصارى إلى أن فتح الموحدون بلادهم⁽²⁾. وفي المغرب استخدم المرابطون الروم منذ أيام يوسف بن تاشفين وكان المرابطون يحصلون عليهم إما بالشراء⁽³⁾ أو بالأسر⁽⁴⁾، وفي أحيان قليلة باستخدام الروم المعاهدين⁽⁵⁾. وقد أوكل المرابطون قيادة الروم إلى رجل منهم. وقد أبلوا في الدفاع عن المرابطين بلاء حسناً⁽⁶⁾. وإلى جانب عمل الروم العسكري كانوا يقومون بجباية المغارم⁽⁷⁾. ومن هنا يخطيء صاحب روض القرطاس عندما يقول عن المأمون الموحي أنه «أول من جوز الروم إلى العدو وخدمهم بها»⁽⁸⁾.

ومن الراجح أن الموحدين احتفظوا بالجند الرومي الذي انضم إليهم على أثر سقوط الدولة المرابطية، لأن كتيبة من هؤلاء الروم كانت ضمن الجيش الموحي الذي أرسل لقتال الماسي بعد فتح مراكش مباشرة (1147/541)⁽⁹⁾. ويبدو أن يوسف بن عبد المؤمن كان يستكثر من الروم في جيشه، فقد كانوا عنصراً من عناصر جيشه في مراكش⁽¹⁰⁾، ولما جاز كرنده إلى مراكش جعله يوسف بن عبد المؤمن على كتيبة الروم في السوس وعددها ثلاثة مائة وخمسون رجلاً⁽¹¹⁾. ولكن وجود الروم في الجيش الموحي أصبح كبيراً ولعب دوراً خطيراً في دور الانحلال لأن كثيراً من الطامعين في الخلافة من بني عبد المؤمن

(1) البيان المغرب (ط. دار الثقافة) ج 4 ص 53-54.

(2) المعجب ص 249.

(3) البيان المغرب (ط. دار الثقافة) ج 4 ص 23، الحلل الموشية ص 14.

(4) Hopkins; p. 36.

(5) النظام السياسي ص 153.

(6) راجع الفصل الأول ص 42 - 43.

(7) الحلل الموشية ص 69.

(8) روض القرطاس ص 167.

(9) البيان المغرب ج 3 ص 26، الحلل الموشية ص 121.

(10) العين بالإمامة ص 431.

(11) أخبار المهدي ص 127.

(1) المعجب ص 256.

(2) المصدر ذاته ص 289.

(3) الاستبصار ص 111.

(4) المعجب ص 289.

(5) المصدر ذاته ص 315-316.

(6) البيان المغرب ج 3 ص 180.

(7) رسائل موحدية ص 256، 257.

(8) وكلمة الروم كانت تطلق على نصارى إسبانيا الشمالية.

أصبحوا يستعينون بالروم لانتزاع الحكم أو تثبيتته. فلما خلع عبد الله البياسي بيعة العادل استقدم القشتاليين وأدخلهم بياسة وقبجاجة وغيرها واعتنق النصرانية⁽¹⁾. ولما نكث أشياخ الموحدین بيعة المأمون استنصر بملك قشتالة الذي نصره لقاء شروط. وقد اختلفت المصادر وتباينت في أمر هذه الشروط.

وحسب رواية ابن عذاري أن ملك قشتالة أمد المأمون بخمسة مائة فارس⁽²⁾، بينما يقول صاحب روض القرطاس باثني عشر ألفاً⁽³⁾، وتكتفي بعض المصادر بكلمة «جمعاً»⁽⁴⁾، ويضيف صاحب الروض أن ذلك تم على شروط مزرية إذ اشترط ملك قشتالة على المأمون «عشرة حصون يختارها وأن يبني كنيسة للروم ومن أسلم لا يقبل إسلامه ومن تنصر يقبل»⁽⁵⁾. وذكر ابن خلدون أن هنالك شروطاً ولكنه لم يبين ما هي تلك الشروط⁽⁶⁾ ولم يذكر ابن عذاري⁽⁷⁾ أو ابن الخطيب⁽⁸⁾ شروطاً.

وإذا كان صاحب روض القرطاس قد بالغ في روايته عدداً وشروطاً، فمن الصعوبة بمكان قبول رواية ابن عذاري التي تهمل ذكر الشروط، فالعدد قد يكون مئات، والشروط قد تكون مشتملة على الحصون وبناء الكنيسة، لا سيما وأن المأمون قد بناها وخرّبها يحيى بن الناصر⁽⁹⁾.

وهكذا ابتداء من خلافة المأمون أصبح جلب الروم في الجيش الموحد

(1) راجع البيان المغرب ج 3 ص 249-250، روض القرطاس ص 164، العبر ج 6 ص 527، 529، الروض الممطر ص 57-59، 60-61، 165، 173-174.

(2) البيان المغرب ج 3 ص 264.

(3) روض القرطاس ص 167.

(4) العبر ج 6 ص 530، الإحاطة ج 1 ص 419.

(5) روض القرطاس ص 167.

(6) العبر ج 6 ص 530.

(7) البيان المغرب ج 2 ص 264.

(8) الإحاطة ج 1 ص 419.

(9) البيان المغرب ج 3 روض القرطاس ص 169.

نتيجة اتفاق يتم مع ملوك النصارى في إسبانيا، وقد حرص الرشيد على استخدام النصارى وتابعه السعيد⁽¹⁾ واستزاد منهم المرتضى⁽²⁾ الذي كان على صلة وثيقة بالبابا⁽³⁾. وقد كان استخدام الروم والاعتماد عليهم من المآخذ الأساسية التي استغلها خصوم خلفاء دور الانحلال⁽⁴⁾.

ولم يكن استخدام الروم قاصراً على جيش الحضرة، بل كان في كل ولاية من ولايات المغرب الأقصى خاصة فاس⁽⁵⁾ وسجلماسة⁽⁶⁾ والسوس⁽⁷⁾ ومكناسة⁽⁸⁾. واقتصر استخدام الروم على المغرب يوضح أن الموحدین قصدوا من تجنيد الروم حماية دولتهم من فتن القبائل في العدو المغربية، وإلى شيء من هذا يشير ابن خلدون عندما يوضح السبب في اعتماد المسلمين على الجند الرومي فيقول أن النصارى معتادون على قتال الزحف وأهل المغرب والعرب معتادون على قتال الكر والفر فلذلك استخدمهم المسلمون حتى لا تنكسر جيوشهم في قتال بني ملتهم ولا يستخدمونهم في قتال غير المسلمين⁽⁹⁾.

السودان:

عرف المغرب استخدام السود في الجيش قبل قيام الدولة الموحدية، فقد كانوا عنصراً أساسياً في الجيش المرابطي⁽¹⁰⁾. وربما كان جل عبيد المخزن من

(1) المصدران ذاتهما ج 3 ص 359، 170، 171، 173.

(2) البيان المغرب ج 3 ص 402.

(3) أنظر عن المراسلات بينهما عنان ق 2 ص 536-540، 738-741.

(4) اختصار القندح ص 44، البيان المغرب ج 3 ص 262.

(5) البيان المغرب ج 3 ص 399.

(6) المصدر ذاته ج 3 ص 214، 365، 418.

(7) المصدر ذاته ج 3 ص 405.

(8) المصدر ذاته ج 3 ص 352.

(9) العبر ج 1 ص 493.

(10) راجع نظم الجمال ص 109، البيان المغرب (ط. دار الثقافة) ج 4 ص 23، 84، الحلل الموشية ص 14.

السودان. وابتداء من خلافة يوسف بن عبد المؤمن كان للسودان فرقة قائمة بذاتها في الجيش الموحدى⁽¹⁾. وكانوا يقومون بردم خنادق المدن المحاصرة⁽²⁾ أو هدم أسوارها بعد فتحها⁽³⁾. ومن السودان كان حرس الخلفاء ويبدو أنهم كانوا يمشون بين يدي الخليفة خلال سير الجيش ويضربون دائرة حول قبه أثناء المعارك⁽⁴⁾.

عدده:

من كل ما تقدم يتضح أن عناصر الجيش الموحدى تعددت خلال دور ازدهار الدولة. فمن المتوقع - والحالة هذه - أن يبلغ عدد الجيش أكبر رقم له في هذا الدور. وأما في دور تأسيس الدولة فيبدو أنه من الصعب الحديث عن جيش نظامي، إذ أن الروايات عن عناصر الجيش قبل فتح مراكش لا تذكر جنداً نظامياً ثابتاً. وأغلب الظن أن الجيش خلال هذه الفترة التأسيسية كان يتكون على أساس النفير العام للقبائل الموحدية. وبعد فتح مراكش ترد إشارات واضحة تميز بين الجند النظامي والمطوعة، فمن الكلمات التي تستعمل لتدل على الجند النظامي مثل «المستزقة»⁽⁵⁾ و«المرتزقة»⁽⁶⁾ و«الأجناد المرسومون»⁽⁷⁾. وتحرص المصادر في أغلب الأحيان على التمييز بين المقاتلة النظاميين والمطوعة الذين يشتركون في حملة عسكرية⁽⁸⁾.

(1) المن بالإمامة ص 431، البيان المغرب ج 3 ص 161، 180، 184، 185، روض القرطاس ص 140، 146.

(2) البيان المغرب ج 3 ص 184.

(3) المصدر ذاته ص 185.

(4) روض القرطاس ص 159.

(5) البيان المغرب ج 3 ص 33، 179.

(6) المن بالإمامة ص 436، 514، المعجب ص 341، روض القرطاس ص 132.

(7) المن بالإمامة ص 193، 215.

(8) رسائل موحدية ص 221، المن بالإمامة ص 451، الكامل ج 11 ص 242، البيان المغرب ج 3 ص 92، روض القرطاس ص 132، 138، 146، 159-160.

وعلى الرغم من أن الدولة الموحدية كانت قد أفردت ديواناً للجيش حفظ سجلات بأسماء الجند إلا أن تلك السجلات مفقودة حتى الآن، كما أن المصادر التي بين أيدينا لا تنبئ عن استفادتها من تلك السجلات، والإشارة الوحيدة عن عدد الجند النظامي ذكرها المراكشي إذ يقول: «وعدد المرتزقة الذين بمراكش من قبائل الموحديين وسائر من ذكرنا من الأجناد على ما صح عندي تلخيصه (كذا) عشرة آلاف نفس، وهؤلاء الذين بمراكش خارجاً عما في سائر البلاد من الموحديين وأصناف الجند»⁽¹⁾. وهذه الرواية تمثل عدد الجيش في الحضرة في عصر ازدهار الدولة ولا يعلم عدد الجند النظامي في الولايات، والراجح أن عدده كان كبيراً فمن المؤكد أن عبد المؤمن لما فتح المناطق كان يترك بها جنداً من الموحديين وغيرهم من أصناف الجند. وقد سار خلفاؤه على نهجه⁽²⁾. وعليه لم يبق لتقدير عدد الجيش الموحدى إلا الإشارات التي وردت عن عدد الجند الذي اشترك في المعارك الكبرى وهنا تواجه الدارس عدة مسائل:

أولاً: بعض الروايات تميل إلى المبالغة في عدد الجيش المشترك في المعارك الكبرى وفي كثير من الأحيان ليس هناك غيرها، فمثلاً ثلث جيش فتح بجاية كان في سنين ألف خيمة فيما رواه صاحب الحل⁽³⁾. وإذا علمنا أن الخيمة تسع عشرة أشخاص⁽⁴⁾ تبين لنا وجه المبالغة في الأمر. ويجعل صاحب الحل جيش عبد المؤمن لفتح المهدية خمسة وسبعين ألف فارس ومن الرجالة خمسمائة ألف⁽⁵⁾، بينما عند ابن الأثير مائة ألف مقاتل ومثلهم سوقة وأتباع⁽⁶⁾. وفي الوقت الذي يقدر ابن صاحب الصلاة جيش عبد المؤمن استعداداً لغزو

(1) المعجب ص 341.

(2) أخبار المهدي ص 126-127، المن بالإمامة ص 202، المعجب ص 206-207، 270.

(3) روض القرطاس ص 126، نهاية الأرب ص 230.

(4) الحلل الموشية ص 121.

(5) البيان المغرب ج 3 ص 129.

(6) الحلل الموشية ص 127.

(7) الكامل ج 11 ص 242، نهاية الأرب ص 210.

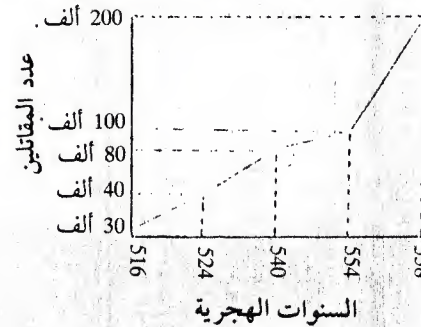
الأندلس بمائتي ألف⁽¹⁾، يجعله صاحب روض القرطاس نحو نصف مليون⁽²⁾. وعند المقرري أن جيش الناصر يوم العقاب بلغ ستمائة ألف⁽³⁾.

ثانياً: لا تذكر الروايات عدد الجيش في جميع المعارك الهامة، فموقعة الأرك التي خلدت ذكرى الموحدين في الأندلس وجعلتهم رمزاً لمجابهة نصارى إسبانيا لا يعرف عدد من اشترك فيها من الجند.

ثالثاً: في بعض الأحيان لا تفرق الروايات بين الجند النظامي والمطوعة⁽⁴⁾.

رابعاً: أن عدد من يشترك في المواقع الكبرى لا يمثل عدد الجيش الموحيدي، لأن بعض العناصر لا تشترك في جميع المواقع، فالروم لا يشركون في قتال نصارى الأندلس، والجند الأندلسي لا يكون اشتراكه إلا في معارك الأندلس، كما أن جند الولايات لا يتركون الولاية جميعهم للمسير في حملة عسكرية.

خامساً: أن عدد الجيش الموحيدي تكاثر مع تعدد العناصر التي ازدادت مع اتساع رقعة الدولة وتبدل مفهوم التوحيد ولتوضيح هذا القول إليك البيان الآتي⁽⁵⁾:



- (1) المن بالإمامة ص 218.
- (2) روض القرطاس ص 132.
- (3) نفح الطيب (ط. الرفاعي) ج 4 ص 74.
- (4) المن بالإمامة ص 218، 497.
- (5) اعتمدنا على استخراج هذا البيان من المن بالإمامة ص 218، الكامل ج 10 ص 577، ج 11 ص 242، نظم الجمان ص 88، البيان المغرب ج 3 ص 19، الحلل الموشية ص 94، نهاية الأرب ص 210، الجبر ج 6 ص 471.

ومن الروايات المختلفة يتبين أن الجيش الموحيدي في جميع المعارك الكبرى كان نحو مائة ألف مقاتل أو أكثر⁽¹⁾ إلا في غزوة المنصور في إفريقية حيث كان العدد عشرين ألفاً. وقد قصد المنصور قلة العسكر لقلة القوات⁽²⁾. وكانت السرايا أو الإمدادات التي تبعث من الحضرة تتراوح بين عشرين ألفاً وثلاثين ألفاً⁽³⁾. ولم يتيسر للدولة في دور الانحلال المحافظة على هذا العدد.

وأخيراً كان الموحدون يقومون بحروبهم على أساس ديني سواء في الأندلس أو المغرب، فالنصارى أعداء الدين والثوار المحاربون هم «الأشقياء المتمردون والكفرة المنخلعون من ثوب الإسلام»⁽⁴⁾. ولهذا كان المطوعة يمثلون قسماً هاماً في الجيوش الموحدية قد تساوي عدد الجيش النظامي⁽⁵⁾، ولكن في الأندلس قد تساوي أضعافه⁽⁶⁾ نسبة لتوفر المؤن وقرب الأندلس من الحضرة.

أقسامه:

كان الجيش الموحيدي يعتمد اعتماداً كبيراً على الرجالة الذين كانوا أغلبية الجند في كثير من المعارك⁽⁷⁾. غير أن الفرسان وإن كانوا قلة في بداية الثورة⁽⁸⁾ إلا أن العدد أصبح كبيراً بعد قيام الدولة. وفي بعض الحملات العسكرية قد يساوي عدد الفرسان عدد الرجالة⁽⁹⁾. وأغلب الظن أن الفرسان كانوا القسم الأساسي الذين هزم العرب عند سطيف (1153/548)⁽¹⁰⁾.

(1) المن بالإمامة ص 497، الروض المعطار ص 114، نفح الطيب (ط. رفاعي) ج 4 ص 74.

(2) الكامل ج 11 ص 521، نهاية الأرب ص 222.

(3) الكامل ج 11 ص 186، 246، 284، روض القرطاس ص 138.

(4) رسائل موحدية ص 184.

(5) الكامل ج 11 ص 242، روض القرطاس ص 132، 138، نهاية الأرب ص 210.

(6) روض القرطاس ص 159-160، نفح الطيب (ط. رفاعي) ج 4 ص 74.

(7) راجع مثلاً نظم الجمان ص 88، الحلل الموشية ص 121.

(8) أنظر المصدرين ذاتهما ونفس الصفحات والجبر ج 6 ص 471.

(9) المن بالإمامة ص 218.

(10) راجع الكامل ج 11 ص 186، 246، نهاية الأرب ص 207، 212.

والى جانب هذين القسمين هناك الرماة، ويبدو أن هؤلاء الرماة كانوا في بداية الأمر من عبيد المخزن ثم أضيف إليهم عدد من قبائل الموحيدين وعناصر الجيش الأخرى⁽¹⁾. والراجح أن الرماة هم الغزاة. فعلى الرغم من أن رواية اليسع في الجبل تجعل الصنف الثالث عشر من الموحيدين هو «الغزاة والرماة»⁽²⁾ كأنهما صنفان مختلفان فإن رواية اليسع نفسها عند ابن القطان⁽³⁾ تذكر «الغرات»⁽³⁾ فقط مما يوحي بأن اللفظين يعنيان شيئاً واحداً. ومما يؤيد الرأي الأخير أن صاحب الحلل نفسه في موضع آخر ذكر «الغزاة» وعلق قائلاً «يعني الرماة»⁽⁵⁾.

وقد ترددت لفظة «الغزاة» في الرسائل الرسمية⁽⁶⁾ والمصادر المعاصرة⁽⁷⁾ بمعنى الرماة.

ومن الجائز أن الغزاة (الرماة) كانوا في بداية الأمر من الصغار الأميين كما يقول اليسع، وأغلب الظن أنهم كانوا من غير الموحيدين، ولكن فيما بعد أصبحوا من الموحيدين وغير الموحيدين من عناصر الجيش⁽⁸⁾.

وتميز الجيش الموحيدي بفرقة للطبالة لم يكن استعمالها وفقاً على الأغراض العسكرية فحسب كما سيجيء. وقد كان أفراد هذه الفرقة من بين عبيد

(1) قابل بين روايتي صاحب كتاب الأنساب في أخبار المهدي ص 46، 48.

(2) الحلل الموشية ص 89.

(3) نظم الجمان ص 28.

(4) قرأ محققاً أخبار المهدي والحلل الموشية الكلمة «الغزاة» بينما قرأها محقق نظم الجمان «الغرات». جمع غر بمعنى الصبي الصغير اعتماداً على شرح ابن اليسع حيث يقول عنهم «وهم الأحداث الصغار الأميون» (راجع نظم الجمان ص 28 ح 3) وسبق أن وضحتنا في هذا الفصل كيف أن صاحب روض القرطاس يخلط بين الأغزاز والغزات.

(5) الحلل الموشية ص 94.

(6) راجع رسائل موحدية ص 26/25، 177، 178.

(7) أنظر نظم الجمان ص 121، البيان المغرب ج 3 ص 189، 219-220.

(8) راجع أخبار المهدي ص 47، 48.

المخزن على الأرجح⁽¹⁾. وترجع أوليات هذه الفرقة إلى حياة المهدي⁽²⁾، ثم اتسع نطاقها حتى أن عدد الطبول التي كانت تستعمل في خلافة يوسف بن عبد المؤمن قد بلغت مائة طبل⁽³⁾.

واستخدمت الطبول لأغراض حربية متعددة فهي تستعمل إعلاناً عن بداية الرحيل أو استئناف السير⁽⁴⁾، أو مناداة للتجمع للقتال⁽⁵⁾، أو إيداناً ببدايته⁽⁶⁾، أو إعلاماً بخروج كمين⁽⁷⁾ كما أرادوا بها صك أسماع العدو ساعة الصدام⁽⁸⁾، واستعملوا الطبول في احتفالاتهم استبشاراً بنصر عسكري⁽⁹⁾، أو سروراً بنبا هام⁽¹⁰⁾، واستعملوها في مراسيمهم في استقبال قائد أو قدوم جند⁽¹¹⁾ أو في استفتاء بتعين والٍ عظيم⁽¹²⁾، أو في ابتهاج بإنجاز عمل عمراني كبير⁽¹³⁾.

ونسبة لتعدد الأغراض فقد تنوعت الطبول وتعددت، ففي حالة الاستقبال يضرب طبل مربع يرجع إلى عهد المهدي⁽¹⁴⁾، بينما في الرحيل «يضرب طبل

(1) المصدر ذاته ص 46.

(2) المصدر ذاته ص 80، المن بالإمامة ص 431.

(3) المن بالإمامة ص 493، 495، ويجعلها المراكشي في خلافة عبد المؤمن (المعجب ص 232).

(4) المن بالإمامة ص 502، 508، البيان المغرب ج 3 ص 79-80، روض القرطاس ص 141.

(5) البيان المغرب ج 3 ص 136.

(6) المن بالإمامة ص 495، البيان المغرب ج 3 ص 464.

(7) نظم الجمان ص 242، الحلل الموشية ص 113.

(8) المن بالإمامة ص 282، الجبر ج 1 ص 462.

(9) المن بالإمامة ص 275، 523، البيان المغرب ج 3 ص 13، 31، 41، 65، 366.

(10) المصدران ذاتهما ص 260، ج 3 ص 60، 470.

(11) المن بالإمامة ص 289، 431.

(12) المصدر ذاته ص 294.

(13) المصدر ذاته ص 469.

(14) المصدر ذاته ص 431.

كبير مستدير الشكل دوره خمسة عشر ذراعاً منشأ من خشب أخضر اللون مذهب، فإذا ضرب فيه ثلاث ضربات علم أنه طبل الرحيل فيرحل الناس. وكان يسمع على مسيرة نصف يوم من مكان مرتفع في يوم لا ريح فيه⁽¹⁾. وقد يسمى بالطبل الكبير⁽²⁾ أو طبل الرحيل⁽³⁾. وفي حالة تعين وال تضرب أربعة طبول⁽⁴⁾.

وهناك فرق خاصة بالمراسيم الدينية تتكون من المؤذنين وأهل الحزب الذين يقرأون القرآن والحديث وعقائد المهدي في بداية المسير⁽⁵⁾.

والى جانب هذه الأقسام كان حرس الخليفة يشكل قسماً في الجيش وكان من العبيد⁽⁶⁾. ويقوم هذا الحرس بحراسة قصر الخليفة⁽⁷⁾. وغالباً ما يكون في ساقه الخليفة في خروجه لاستقبال حشد⁽⁸⁾ أو في مسير الجيش. وفي المعارك يكونون دائرة حول قبة الخليفة الحمراء⁽⁹⁾ ولا يشتركون في القتال إلا إذا اضطر الخليفة إلى الاشتراك في المعركة. وفي الاستقبال يلبسون ثياباً ملونة⁽¹⁰⁾، ولا نعلم عن لبسهم في حالة الحرب شيئاً.

الوحدات العسكرية:

إن الدارس لنظام الموحدين العسكري يتبين في وضوح أن العمل الذي يقوم به الجندي لا يمثل أساس التنظيم العسكري، فالفارس أو الراجل أو الرامي

- (1) الحلل الموشية ص 126-127.
- (2) المن بالإمامة ص 502، البيان المغرب ج 3 ص 97.
- (3) البيان المغرب ج 3 ص 201.
- (4) المن بالإمامة ص 294.
- (5) راجع الفصل السابق ص 212 وما بعدها.
- (6) المن بالإمامة ص 493.
- (7) أنظر ما يورد ابن خلكان عن وفاة الناصر (وفيات ج 6 ص 14-15).
- (8) المن بالإمامة ص 289.
- (9) روض القرطاس ص 148، 158.
- (10) المن بالإمامة ص 289.

ينتمي إلى وحدة قبلية أو إقليمية أو عنصرية. فالقبيلة هي وحدة التشكيلات الموحدية. والحالة الوحيدة التي جمع الرماة فيها تحت إمرة قائد واحد هي غزوة وبذة (567/1172)⁽¹⁾. وفيما عدا ذلك فقد قسم العرب والبربر إلى وحدات قبلية تراعي في أثناء السير⁽²⁾ أو القتال⁽³⁾ أو في تلقي الأوامر أو في صرف العطاء. أما جند الأندلس فقد كانوا وحدة عسكرية⁽⁴⁾ ولكنها قسمت إلى فرق بحسب المناطق الإدارية⁽⁵⁾. وفي بعض المعارك كون جند لبعض الولايات المغربية وحدة عسكرية إقليمية⁽⁶⁾. وكان كل من العبيد⁽⁷⁾ والروم⁽⁸⁾ والأغزاز⁽⁹⁾ وحدات قائمة بذاتها.

وكل وحدة من هذه الوحدات قسمت إلى تشكيلات عشرية، وكل تشكيلة عليها نقيب أو مزوار⁽¹⁰⁾ وهو صلة الوصل بينها وبين القيادة. وقد روعي التقسيم العشري حتى في سكن الجند، فقد خصص لكل عشرة فرسان خيمة في حالة خروج الجيش إلى القتال⁽¹¹⁾.

القيادة:

في الجيش الموحد ثلاثة أنواع من القيادات العسكرية: قيادة الوحدة

- (1) المن بالإمامة ص 497.
- (2) البيان المغرب ج 3 ص 136.
- (3) رسائل موحدية ص 210، المن بالإمامة ص 197، 194، 501، البيان المغرب ج 3 ص 163، 168، 177، الحلل الموشية ص 114، روض القرطاس ص 129، 140، 155، 158.
- (4) البيان المغرب ج 3 ص 48، روض القرطاس ص 141، 155.
- (5) المن بالإمامة ص 499، البيان المغرب ج 3 ص 135، 177.
- (6) البيان المغرب ج 3 ص 179.
- (7) المن بالإمامة ص 431، البيان المغرب ج 3 ص 180، 185، روض القرطاس ص 158-159.
- (8) المن بالإمامة ص 431، البيان المغرب ج 3 ص 26، 180، الحلل الموشية ص 121.
- (9) البيان المغرب ج 3 ص 180.
- (10) نظم الجمان ص 27.
- (11) البيان المغرب ج 3 ص 129.

وقيادة الولاية والقيادة العامة. إن قيادة الوحدات العسكرية قبلية⁽¹⁾ وإقليمية⁽²⁾ وعنصرية⁽³⁾ غالباً ما توكل إلى قائد من أهل الوحدة على أن يكون من أهل ثقة الخليفة. ولكن منذ خلافة يوسف بن عبد المؤمن كثيراً ما نجد بعض «السادة» على رأس تلك الوحدات في مسير الجيش إلى غزو أو أثناء القتال⁽⁴⁾. وهذا أمر يتفق مع تحول الخلافة إلى حكم وراثي. ونسبة لخطورة الجبهة الأندلسية ومعاركها الدائمة مع النصارى فقد أولى الموحدون تنظيم القيادات في الأندلس عناية خاصة وجعلوا على كل القيادات الأندلسية رجلاً من أهل الأندلس يشرف على شؤونهم ويقود وحداتهم. ونعرف من هؤلاء الرؤساء الأندلسيين اثنين هما ابن عزون صاحب شريس وابن صناديد. وكان الأول في خلافة عبد المؤمن واختير لسبقه وثباته على الطاعة يوم انتفضت الأندلس على عبد المؤمن في أول حكمه⁽⁵⁾. وأما الثاني فقد كان في خلافة المنصور واختياره كان نتيجة لمواهبه العسكرية⁽⁶⁾.

وسبقت الإشارة إلى أن قيادة الولاية كانت من اختصاص الوالي الذي يشرك معه الطلبة والحفاظ⁽⁷⁾.

وأما القيادة العامة فقد كانت من اختصاص الخليفة وكان خلفاء دور الازدهار يقودون الجيش بأنفسهم في المعارك الكبرى في إفريقية والأندلس⁽⁸⁾.

(1) أخبار المهدي ص 75، المن بالإمامة ص 503، 519، روض القرطاس ص 148، العبير ج 6 ص 526، 531، 532، 533.

(2) المن بالإمامة ص 499، البيان المغرب ج 3 ص 46، 199، روض القرطاس ص 148.

(3) المن بالإمامة ص 519، البيان المغرب ج 3 ص 276، 284، 307، 399، 418، 435.

442، روض القرطاس ص 148، العبير ج 6 ص 527، 531، 533، 538.

(4) المن بالإمامة ص 494، 503، البيان المغرب ج 3 ص 131-132، 163، 179.

(5) الكامل ج 11 ص 150-151، نهاية الأرب ص 203، العبير ج 6 ص 487.

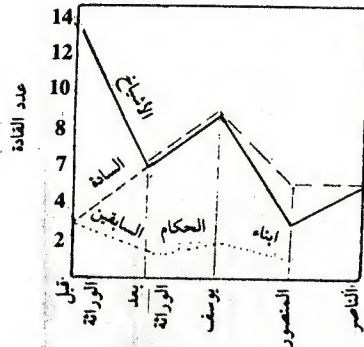
(6) روض القرطاس ص 148.

(7) راجع ص 99.

(8) راجع عن عبد المؤمن العبير ج 6 ص 473، 484، 490، وعن يوسف: المن بالإمامة ص =

ولكن في فترة تنفذ الأشياخ لم يعد الخلفاء هم القادة للجيش بل إن منهم من لم يخرج في حركة قط⁽¹⁾. ولما استرد الخلفاء سلطاتهم ابتداء من خلافة المأمون استأنفوا قيادة العمليات العسكرية⁽²⁾.

وكثيراً ما كان الخلفاء ينيون عنهم غيرهم في قيادة حملات عسكرية. ففي حياة المهدي كانت قيادة مثل هذه الجيوش يقوم بها أهل الجماعة⁽³⁾، ولكن منذ خلافة عبد المؤمن اختلف الحال من طور إلى آخر. ولنعطي فكرة عما تولوا القيادة العامة بتكليف من الخلفاء في دوري التأسيس والازدهار نقدم البيان الآتي⁽⁴⁾:



= 309، البيان المغرب ج 3 ص 70، العبير ج 6 ص 498، 502، وعن المنصور: المعجب ص 273، البيان المغرب ج 3 ص 159، 163، العبير ج 6 ص 511، 512، وعن الناصر: البيان المغرب ج 3 ص 220، 236، الرحلة ص 357، روض القرطاس ص 123، العبير ج 6 ص 519، 522.

(1) البيان المغرب ج 3 ص 247.

(2) راجع عن المأمون البيان المغرب ج 3 ص 281، العبير ج 6 ص 530-531، وعن الرشيد:

البيان المغرب ج 3 ص 290، 323، العبير ج 6 ص 533، وعن السعيد: البيان المغرب ج 3

ص 365، 371، 386، العبير ج 6 ص 538 وما بعدها، وعن المرتضى: البيان المغرب ج 3

ص 403، 410، العبير ج 6 ص 543، وعن أبي دُبوس: البيان المغرب ج 3 ص 458،

وما بعدها.

(3) أنظر الفصل الثاني ص 69.

(4) استخرجنا البيان من المصادر الآتية: رسائل موحدية ص 123-125، 256، أخبار المهدي

من هذا البيان يتضح أن القادة في دور التأسيس كانوا من أشياخ الموحدين، ولكن في دور الازدهار، وبعد أن أعلنت الوراثة في الحكم، تساوت نسبة أشياخ الموحدين مع السادة بني عبد المؤمن. وكثرة السادة بين قادة الجيش يتمشى مع محاولات بني عبد المؤمن للسيطرة على مقدرات الدولة والاحتفاظ بمظاهر العظمة لأنفسهم، ولهذا لا يتورع بعض الخلفاء في نكبة قائد من الأشياخ إن بذَّ وتفوق على أحد أبناء الخليفة⁽¹⁾. وهذا التنافس لم يكن بين السادة والأشياخ فحسب ولكنه وجد في داخل الأسرة الحاكمة أيضاً⁽²⁾. وقد كان جل القادة الأشياخ في دور الازدهار من أصهار بني عبد المؤمن.

ومن البيان يتضح أن أبناء الحكام السابقين كانوا قلة قليلة بين قادة الحملات العسكرية. وهذه القلة كان وجودها تألفاً للزعماء السابقين وتقديراً للكفاءة من جهة أخرى. ولهذا كان جل هؤلاء القادة من مسوفة في خلافة عبد المؤمن⁽³⁾، وأبناء مردنيش في خلافة يوسف.

وأما في دور الانحلال فقد كان أغلب القادة من المتنفذين من أشياخ الموحدين الذين ملكوا الخليفة بدالة⁽⁴⁾ لا سيما الوزراء من الأشياخ⁽⁶⁾.

= ص 124، المن بالإمامة ص 182، 269، 270، 308، 371، 376، 379، 399، 452، 519، 525، المعجب ص 213، 248، 249، 314، الكامل ج 10 ص 243، ج 11 ص 150، 156، 159، 186، 246، ج 12، ص 147، البيان المغرب ج 3 ص 49، 63، 78، 80، 84، 92، 99، 104، 117، 149، 153، 157، 159، 160، 214، 223، 224، الحلل الموشية ص 123، روض القرطاس ص 126، 137، 148، العبر ج 6 ص 475، 477، 478، 479، 480، 483، 486، 487، 488، 491، 494، 497، 504، 507، 508، 515، 517، 519، 528، أعمال (ليفي) ص 265.

(1) أنظر موقف يوسف من أبي عبد الله ابن وانودين: البيان المغرب ج 3 ص 120، 122-125، 132.

(2) انظر سبب جواز يوسف لغزوة وبذة في المن بالإمامة ص 407-409، البيان المغرب ج 3 ص 88.

(3) العبر ج 6 ص 480، 486.

(4) راجع البيان المغرب ج 3 ص 415، 433، 434، 435، 443، العبر ج 6 ص 528، 543، 544، 545.

(6) البيان المغرب ج 3 ص 298، 404، العبر ج 6 ص 534، 535.

ويلاحظ أن الأشياخ من الموحدين كانوا قد كسبوا تجارب عملية من ممارسة الحرب الفعلية في قتال المرابطين ثم في عمليات التوسع. ويبدو أن عبد المؤمن عندما كان يفكر في تولية أبنائه القيادة كان يخشى من عدم الكفاءة فلماذا تلقى السادة في خلافته تدريباً عسكرياً في المدرسة التي أنشأها لتخريج الحفاظ⁽¹⁾. وأغلب الظن أنه كان يشعر أن المعرفة النظرية لا تكفي في صنع قادة أكفاء فلماذا كان يبعث مع أبنائه عندما يجعلهم على قيادة حملات عسكرية بعض أشياخ الموحدين ذوي الخبرة بالحروب مثل عمر الهنتاتي ويوسف بن سليمان. وعن الأخير منهما يقول ابن صاحب الصلاة «زعيم الموحدين وخالصة أمير المؤمنين لتجربته بالحروب»⁽²⁾. ولهذا لم تضعف كفاية الجيش ومقدرته في خلافة عبد المؤمن، بينما اهتز نظامه في خلافة يوسف حتى أن أعماله الحربية كانت أقرب إلى التظاهرات الحربية، فلم تنجح غزواته في الأندلس لأن السادة استبدوا بالأمور دون مشورة أولي الخبرة والتجربة. ولما اهتم المنصور بتولية أولي الكفاءة كانت انتصاراته في إفريقية والأندلس. ويبدو أن المنصور كان مهتماً بأمر القيادة العامة في الولايات وفي المعارك الكبرى، ففي إفريقية موطن الثورات عين قائداً عاماً للجيش في تونس مع وجود والي⁽³⁾. وفي معركة الأرك عين المنصور قائداً عاماً ليقود الجيش عملياً خلال المعركة مع أنه كان موجوداً على رأس جيشه في أرض المعركة⁽⁴⁾. ويبدو أن هذا المنصب استمر بعد خلافته فهناك ما يفيد أنه وجد في خلافة الرشيد⁽⁵⁾. وربما كان ابن خلدون يشير إليه عندما يصف ويسمي السيد أبا العلا الملقب بأبي دبوس والناظر على المرتضى بـ «قائد حروبه»⁽⁶⁾.

(1) راجع الفصل الثاني ص 99.

(2) المن بالإمامة ص 194-195.

(3) الكامل ج 12 ص 146، نهاية الأرب ص 227.

(4) روض القرطاس ص 148، العبر ج 6 ص 512.

(5) البيان المغرب ج 3 ص 328-329.

(6) العبر ج 6 ص 547.

إن السلطة الوحيدة التي كان يتمتع بها قادة الجيش الموحيدي كانت سلطة تنفيذية، فقد كان عليهم الاتصال الدائم بالحضرة وإخطارها بتجدد الحال وتلقي التعليمات. والقائد الوحيد الذي حظي بسلطة ما هو السيد أبو حفص ابن عبد المؤمن في خلافة أخيه يوسف فقد كان يولي على المناطق التي يفتحها⁽¹⁾. فالمركزية المستحكمة التي تبينها في الفصول السابقة تظهر بوضوح في النظام العسكري الموحيدي.

العدة:

بدأت معدات الجيش الموحيدي بسيطة وقليلة، ومع اتساع رقعة الدولة ومر الزمن تعقدت وتكاثرت. وخير ما يصور هذا التعبير تطور استعمال الموحيدين للمعسكرات والرايات والأسلحة واللباس.

ليس هناك ما يفيد أن الموحيدين اتخذوا معسكرات لجيوشهم في دور التأسيس، ولكن في دور الازدهار نلاحظ أن الخلفاء كانوا يهتمون بسكن جيوشهم المقيمة والمسافرة. ففي سنة 1183/579 وسع يوسف الحضرة حتى تسع مئكتورة وصنهاجة الذين أمرهم بالقدوم إليها وسكنتها⁽²⁾.

ومن مظاهر اهتمام خلفاء دور الازدهار بسكن الجنود وأماكن إقامتهم في حالة الخروج إلى الحرب ما يرويه صاحب الاستبصار عن رباط سلا الذي كان مركز تجمع الجيوش الموحدية قبل أن تسير إلى وجهتها. يقول صاحب الاستبصار عن رباط سلا أن فيه حمامات وفنادق ودياراً كثيرة ومياه مطردة وسقايات ومنافع أعدت لورود المحلات عليها⁽³⁾. وبني المنصور خارج إشبيلية

(1) المن بالإمامة ص 405.

(2) البيان المغرب ج 3 ص 126.

(3) الاستبصار ص 140-141.

«حصن الفرج» ليكون منزلاً للمجاهدين⁽¹⁾. وقد نزلته جيوشه لما خرجت إلى غزوة الأرك⁽²⁾.

وكانت الدولة تقوم بكسوة العساكر المسترزين والحشود⁽³⁾. وكانت الكسوة التامة تتكون من عمائم وغفاير وبرانس وأكسية. ويحصل الفارس على غفارة وعمامة وكساء وقبطية وشقة⁽⁴⁾.

واتخذ الجيش الموحيدي منذ حياة المهدي زاية بيضاء شعاراً، وسار الخلفاء على ذلك⁽⁵⁾. غير أن ما يكتب على هذه الراية كان يختلف من خليفة إلى آخر⁽⁶⁾. وإلى جانب هذا العلم المميز اتخذ الخلفاء سبعة أعلام لا تستخدم إلا في الموكب الخلافي ويمشي حملة هذه الأعلام في ساقه الخليفة⁽⁷⁾.

وأما قبائل الموحيدين فلم تكن لهم إعلام في بداية الثورة حتى أنهم في معاركهم الأولى ضد المرابطين استخدموا أكسيتهم وأرديتهم أعلاماً⁽⁸⁾. ثم جعل المهدي لكل قبيلة علماً مميزاً⁽⁹⁾. ولكن عبد المؤمن في حملته الطويلة الأعوام وزع البنود على سائر القبائل⁽¹⁰⁾. وفي خلال دور الازدهار استكثروا منها، وجعلوا لكل وحدة علامة مميزة، بما في ذلك المطوعة، الذين كانوا يحملون علماً أخضر⁽¹¹⁾.

(1) المعجب ص 292، البيان المغرب ج 3 ص 189.

(2) البيان المغرب ج 3 ص 192.

(3) المن بالإمامة ص 215، 289.

(4) المن بالإمامة ص 291، 450.

(5) المن بالإمامة ص 438، نظم الجمان ص 128، روض القرطاس ص 150.

(6) قارن بين نظم الجمان ص 128 روض القرطاس ص 150.

(7) العبر ج 1 ص 465.

(8) نظم الجمان ص 128.

(9) أخبار المهدي ص 75.

(10) المصدر ذاته ص 93-94.

(11) روض القرطاس ص 148.